والذين آمنوا وقال إنهم لهم المنصورون وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة
في ذلك أنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله ورسوله ويخونون أماناتهم
ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب
فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ أذن للذين يقاتلون أذن ويقاتلون قرئا على
لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعاً والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة
يقاتلون عليه بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير أي بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديداً وكانوا يأتون رسول
الله من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى
هاجر فأنزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف
وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم
في مقاتلتهم والإخبار بكونه قادراً على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة
وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضاً الذين أخرجوا من ديارهم
بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله أن يقولوا في محل الجر على الإبدال من حق أي بغير موجب
سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير
ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً دفع الله بعض الناس
ببعض إظهاره وتسليطه المؤمنين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى
المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا
للنصارى بيعاً ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب
المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب
الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت
الكنيسة صلوات لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا
ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز من ينصره أي من ينصر دينه وأولياءه الذين
إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
هو إخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضوان الله تعالى
عليهم إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وعن
عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن
يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين
لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ
في ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا ولله
عاقبة الأمور أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه
وإعلاء كلمتهم وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم
وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم يقول
لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست بأوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل
قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة فإن قلت لم قيل وكذب
موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل
وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم
رسولهم وكذب موسى أيضاً مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فكيف كان نكير
النكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكاً وبالعمارة
خراباً كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش والخاوي

فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية
على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد

Copyright © King Saud University